الجزء الثانى

حكاية سر

ميلودراما : توماس هالكروفت

ترجمة د.سيد الإمام

مراجعة : د. جيهان خريبة

الإهداء

إلي موزيو كيلمنتي..

....

أي شرف عظيم أن يزين مؤلفٌ نفسه أمام العالم بأن له صديقا، يعد في الوقت نفسه رجل العبقرية المعترف بها، والفضيلة المختبرة. أما بشأن عبقريتك فإبداعاتك الموسيقية تشهد لك بما يكفي، أما عن فضيلتك فقد أدركت منها أدلة يقينية، لا يمكن نسيانها مادمت حيا. لابد أني محظوظ بما يكفي لأن أبلغ الأجيال القادمة، وقد تنهدت بسرور، مغتبطة بذلك الرجل الذي كان يعاصر «كليمنتي»، وتربطه به صداقة حميمة. ولكم أتمني لو يتحقق ذلك العزاء ونبقي في قائمة الأصدقاء في حالة أكثر إشراقا، وبذا نحيا أعمارا أكثر سعادة!

توماس هولكروفت

تنويه

هناك القليل من المتع العظيمة أو الخالصة، كما تتمثل في أن تكون قادرا، بقص جيد لحكاية، أن تلفت الانتباه، وتثير المشاعر، وتحتفظ بجموع من يصغون إليك في حالة من الترقب تتسم بالقلق واللهفة. وتتزايد هذه المتعة بالتأكيد، حينما يكون معروفا أن مشاهدي المسرحية أو قراء السردية، من مشارب متعددة ومتنوعة. وحين تتفق عاطفة هؤلاء- مع تعددهم وتنوعهم- علي مشاركتهم في الانفعال بشعور واحد، وحين ينطلقون بحماسة متساوية ويصفقون بحرارة جماعية، فالمتعة بهذا التقدير والمديح، تصبح نشوة وابتهاجا. وفي المسرح حيث ينبغي أن ينسي كم عدد المدعين بالحق في هذه النشوة، الذين يجب أن يقتسموا بينهم الاستحقاق، الذي يجدر بالكل، ليس بوسع الشاعر أن ينسب لنفسه تلك الاستجابات التي تعد نتيجة تضافر عظيم لعديد من المواهب.

ألم يكن التصفيق الذي استقبل به الجمهور هذه المسرحية التي ننوه إليها، غير مألوف مثل سلسلة الخواطر، لا تكاد ترد إلي الذهن إلا نادرا. وأنا مستعد علي أية حال، كمؤلف يمكنه أن يثق بنفسه بشدة- وأتمني لو كنت مخطئا- أن هذه السلسة في المثال الراهن لم تكن مفزعة. فلا أستطيع أن أنسي العون الذي تلقيته من الدراما الفرنسية، التي استقيت منها الحوادث الرئيسية، والعديد من الأفكار، وكثير من تكنيك عرض القصة. فبذلت بنفسي جهد أن أختار وأدمج ببراعة التخطيطات التي كانت قادرة علي تشكيل صورة ممتازة، ولم تكن المحاولة فاشلة.

إنني أستطيع أن أقول وقد أشرفت قليلا علي الممثلين ومعد الموسيقي ومصمم المناظر والرقص، إنهم جميعا أسهموا في نجاح العرض علي نحو جوهري. وأقر بعون كل منهم منفردا بكل سرور. وقد أظهر الممثلون بشكل خاص تألقا غير عادي في الموهبة، ولكن مهما كان امتناني لا يمكن أن أخاطر بذكر نماذج

فردية، خشية أن يعتقد من لا أذكر أسماءهم في أنفسهم، أنني تجاهلتهم. وإلي جانب ذلك، ولكي أكون منصفا، فإن ذلك لابد من فحصه وتمييزه، وإن لم يكن المجال لأطروحة عن الفن الدرامي. ولذلك فإنني لا أستطيع سوى أن أكرر إشادتي الأمينة بالجهود المشكورة للكل، وأعترف بامتنان بكفاءة الدعم والمساندة التي حظيت بها.

ولكن لابد أن تغريني الميلودراما بأن أقول شيئا عن طبيعتها وقدراتها، والآثار اللطيفة لمناظرها علي المسرح، إلا أن أفكاري يجب أن أعرضها بالضرورة في عجالة وبكثير من الإيجاز. وكتاب الدراما الآخرون، سيقدمون هذه التأثيرات بشكل أكثر نضجا واكتمالا، ويسعدني أن أشاركهم تلك المتعة التي سيسفرون عنها.

***

الشخصيات وتوزيع الأدوار

م	الشخصية	الممثل القائم بالدور
1	«بونامو- Bonamo»	السيد«موري- Mr. Murray»
2	«رومالدي- Romaldi»	السيد«هـ.جونستون- Mr. H. Johnston»
3	«فرانسيســـــــــكو- Francisco»	السيد«فارلي- Mr. Farely»
4	«ستيفانو- Stephano»	«برونتون- Mr. Brunton»
5	«مونتانا- Montana»	السيد«كليرمونت- Clermont»
6	«ميشيلي- Michelli»	السيد«بلانشارد- Mr. Blanchard»
7	«مـــــــــالفوجليو- Malvoglio»	السيد«كوري- Mr. Cory»
8	«بيرو- Piero»	السيد«سيمونس- Mr. Simmons»
9	«إكسمبت- Exempt»	السيد«بيفرلي- Mr. Beverly»
10	البستاني الأول	السيد «أبوت- Mr. Abbot»
11	البستاني الثاني	السيد«ترومان- Truman»
	فلاحون- موسيقيون- راقصين	
12	«سلينا- Selina»	السيدة«جيبس- Mrs. Gibbs»
13	«فياميتا- Fiametta»	السيدة«ماتوكس- Mrs. Mattocks»

موسيقي «د.بوسبي-Dr. Busby»

تصميم رقصات«ميسرس- Messrs. وأداء«بولوجنا- Bologna»، «جين- Jun»، «ديبوس- Dubois»، و«بايرن- Byrne».

تصميم مناظر:«ميسرس- Messrs»، «فيلبس- Phillips»، و«ليومنو- Lumno»

تصميم ملابس: السيد«ديك- Mr. Dick»، و«السيدة»إيجان- Egan».

وقد مثلت علي مسرح«كوفنت جاردن»الملكي

***

معلومات: عن الطبعة المترجمة: -

الطبعة الثانية. ونشرها«ريتشارد فيلبس- Richard Philips»، 71، ساحة كنيسة القديس«بول»، سنة 1802. وأعادت نشرها إليكترونيا مكتبة جامعة كاليفورنيا، في لوس أنجلوس.

الفصل الأول

(**المشهد الأول**: صالة في منزل«بونامو»، ببابين علي الجانبين، وأبواب مطوية في الخلفية. نضد عليه قلم ومحبرة وأوراق. موسيقى تعبر عن السخط والتحذير. تدخل«سلينا»، و«فياميتا»).

سلينا: يبدو عليك القلق يا «فياميتا»؟

فياميتا : قلقة!! نعم.. نعم.. وستكونين قلقة أنت أيضا.

سلينا : أنا؟؟

فياميتا : أخبار رائعة!

سلينا : من أي نوع؟

فياميتا : من النوع السيئ جدا.. الكونت «رومالدي»..

سلينا : (في حذر) ماله؟

فياميتا: وصل..

سلينا : متى؟

فياميتا : هذا المساء..

سلينا : يا للسماء!!.. وماذا يريد؟

فياميتا: يريد؟؟، يريد الأذى.. كلنا يعرف أنه يريدك أن تتزوجي ابنه، لأنك وريثة غنية..

سلينا : بالتأكيد لن يقبل عمي أبدا.؟

فياميتا : عمك وكل أهالي«سافوي»، يخشون منه..

بونامو: (مناديا دون أن يدخل) فياميتا..

فياميتا : إنني هنا يا سيدي..

بونامو: ولكنني أريدك هنا فياميتا

فياميتا: يا إلهي!!.. يا سيدي أنا مشغولة

سلينا : اذهبي.. أسرعي إلي عمي

فياميتا : من العار ألا يفكر في تزويجك من ابنه، يجب أن يفكر حين يعرف يا عزيزتي كيف أن أحدكما يحب الآخر.

سلينا : وهذه من روائع قلب عمي العزيز، أن يزدري ظهور المصلحة الذاتية

فياميتا: ولذلك، وحتى لا يلوم نفسه، سيجعلنا بؤساء أنا وأنت وكل إنسان!.ولكني سأتحدث إليه

بونامو : (دون أن يدخل)، ناديتك يا فياميتا..

فياميتا : آتية.. آتية (تذهب) سيصغي إليّ. إنني علي الطريق الصحيح، ويعلم أني علي حق ولن أغفر له..

(تخرج وهي تتكلم. موسيقي مطاردة. يدخل «ستيفانو» بثياب الصيد، الشبكة والأدوات)

سلينا: لم تأخرت علي هذا النحو يا «ستيفانو»؟، تنتابني آلاف المخاوف.

ستيفانو : سامحيني يا عزيزتي «سلينا»، متابعة الصيد قادتني بعيدا جدا بين الجبال.

سلينا : هل تعرف..

ستيفانو: ماذا؟

سلينا: لكم أخشى أن أخبرك!.. ولكن.. الكونت «رومالدي» وصل..

ستيفانو: «رومالدي»؟!

سلينا: إنني أرتعد كلما تذكرت آراءه الأنانية، وعنف شخصيته

ستيفانو: فضلا عن شرور قلبه.

(موسيقي تعبر عن الخلاف في المحاورة.يدخل «بونامو»، و«فياميتا»)

فياميتا : أقولها لك ثانية يا سيدي، إنها غلظة وقسوة، ومن تعنت قلبك أن تصدر أوامر كهذه.

بونامو : وأنا أقول لك سيطيعونني. أوليس من حقي أن أفعل ما يسرني في بيتي؟

فياميتا : لا يا سيدي، ليس من حقك أن تفعل الخطأ في أي مكان

ستيفانو: فيما النزاع يا سيدي؟

فياميتا : أمرني أن أتطرد المسكين «فرانسيسكو»، ولم لا.. لأن البيت ليس واسعا بما يكفي ليستقبل هذا الكونت «رومالدي»!.

سلينا: تذكر يا عمي العزيز، كيف أن «فرانسيسكو» طيب القلب وجدير بالامتنان

ستيفانو: ورجل سيء الحظ...

بونامو : الحماقة وسوء الحظ توأمان..لا أحد يستطيع أن يميز أحدهما عن الأخرى. كان له موطئ قدم هنا، ويبدو أنكم جميعا مصممون أن يحتفظ بها.

سلينا : هذا ما أراه.. وإنني أعني بمصلحته. أساليبه جد معتدلة..

ستيفانو : وعينه جد معبرة..

سلينا : وتصرفاته سليمة جدا.

فياميتا : وسأكون أكثر تحديدا، إنه من سلالة نبيلة.

بونامو: ومن أخبرك بذلك؟

فياميتا: ليس هو بنفسه بالتأكيد، لأن المسكين أخرس. ولكنني لاحظت فقط نظراته الحزينة. ماذا فيها بالضبط؟، لا أدري.. ولكن شيء ما في عقله..

بونامو : أنت حمقاء!!

فياميتا : حمقاء أو لست حمقاء، لقد خدمتك بإخلاص ثلاثة وعشرين عاما، ويمكنك أخيرا أن تطردني.. إن كان هذا مما يرضيك.

بونامو : أنا؟

فياميتا : نعم.. إذا طردت فرانسيسكو، لن أدخل بيتك ثانية أبدا.

بونامو : يبدو أنك تعرفين الكثير مما يتعلق بهذا الرجل؟

فياميتا : إذا كان لابد أن يقال، فأنا أعرف.

بونامو : إذن تكلمي..

فياميتا : إنها مأساة حقيقية.

بونامو : حقا!.. دعينا نسمعها..

فياميتا : مضي الآن سبعة أو ثمانية سنوات، منذ أرسلتني إلي «تشامبري»، وكنت عائدة إلي البيت. كانت الدنيا مظلمة تقريبا، ولا أكاد أرى شيئا، كنت ألتف حول الوادي وكانت الصخور كلها، كأنها اتشحت بالسواد. وفجأة.. سمعت صراخا! كان ثمة رجل يقتل! ارتعدت من رأسي حتى قدمي! وفي الوقت نفسه تلاشت الصرخات، ولمحت رجلين ملطخين بالدماء، خنجراهما في يديهما، يسرقان تحت الصخور أسفل الطاحونة. كنت واقفة كالحجر، وقد أفقدني الخوف ذكائي.. وهكذا اعتقدت أني أسمع تأوهات،

وكنت مازلت خائفة، وانتابني إحساس بأن الرجلين لابد وأن يتركا المخلوق المسكين الذي قتلاه. ولذا أصغيت وتتبعت أذني.. وهنا.. رأيت هذا الرجل نفسه..

سلينا : فرانسيسكو؟

فاميتا : غارقا في دماه. وكي أتأكد صرخت بأعلى صوتي بقدر ما أستطيع، فماذا يمكنني أن أفعل وحدي؟، وفي الحال سمع «ميشيلي»، الطحان الأمين، صراخي، وجاءني يعدو مع تابعه.

بونامو : الآن تذكرت الحكاية. شفي الرجل المسكين، وامتدح الناس «ميشيلي» الطحان.

فاميتا : كان ينبغي أن يمتدحوه، فهو رجل أمين وروحه طيبة!، وماذا بعد يا سيدي، أيمكنك أن تتصور ما فكرت فيه؟، حين رأيت منذ أسبوع مضي، فرانسيسكو واقفا أمامي، يلوح بإشاراته إنه يكاد يموت من الجوع والعطش. عرفته فورا، وأدرك في الحال أنه قريب من قلبي. لو رأيت يديه المتشابكة، ونظراته الآسفة وإشاراته الخرساء، وعلامات الفرحة بعدما وجدني!..بينما لم يطلب لقمة من عندي لأقدمها له. سأستأجر له كوخا، وأخدمه، وأعمل من أجله: اطرده إذن إن سمح لك قلبك أن تفعلها.

ستيفانو : «فاميتا».. أنت مخطئ يا أبي.

بونامو: سأسمع حكايته منه بنفسه.

فاميتا : لا يستطيع أن ينطق.

بونامو: ولكن يمكنه أن يكتب..

فاميتا : وأنا أضمنه. أنا واثقة أنه رجل نبيل.

بونامو: ناده هنا، وإذا أثبت أنه رجل شريف، فأنا صديقه.

فياميتا : أعرف ذلك، وإلا لن تكون سيدا ليّ (تخرج)

ستيفانو: عنايته الطيبة ب«سلينا»، نادرة..

سلينا: كل صباح أجده في انتظاري بباقة ورود طازجة، ويقدمها لي بنظرات متواضعة، ومليئة بالمودة.

(تعود «فياميتا» مع «فرانسيسكو»، الذي يبدو في مظهر فقير، وإن كان نظيفا، ويحتفظ بمزاج هادئ وقور)

بونامو: اقترب يا صديقي. أنت تفهم هذه الإشارة.. «فياميتا»، ستعيش حيث تكون

فياميتا : وأنا أقصدها.

بونامو: (لنفسه) له شكل يفيض بالرجولة!، وعين خيّرة!(عاليا) اجلس يا سيدي. اتركونا يا أبنائي..

(يهمّ «فرانسيسكو» فجأة بينما يوشك «ستيفانو» و«سلينا» أن يخرجا، ويعيدهما ويسألهما أن يبقيا)

بونامو: فلتبقيا مادمت هذه مشيئته. هنالك قلم ومحبرة وأوراق.. حين لا تستطيع أن تجيب بالإشارة، اكتب.. ولكن كن دقيقا واذكر الحقيقة.

فرانسيسكو : (يشير باعتزاز إلي السماء وقلبه)

بونامو: من أنت؟

فرانسيسكو : (يكتب، بينما يقف خلفه «ستيفانو»، فيرفع الورقة ويقرأ الإجابة) أنا نبيل روماني..

بونامو: وعائلتك؟

فرانسيسكو : (يأتي بإشارة اعتذار مفاجئة، ويكتب) لا يجب أن تكون معروفة

بونامو: لماذا؟

فرنسيسكو : (يكتب) أمر مخزٍ.

بونامو: بسببك..

فرانسيسكو : (يومئ)

فيامتيا : (مقاطعة) لا.. لا.. لا

بونامو : من جعلك أخرس؟

فرانسيسكو : (يكتب) الجزائريون

بونامو:وكيف وقعت تحت سلطتهم؟

فرانسيسكو : بالخيانة

بونامو : وهل تعرف الخونة؟

فرانسيسكو : (يومئ)

فياميتا : (بلهفة) يعرفهم! يعرفهم..!

بونامو: ومن هم؟

فرانسيسكو : (يكتب) هم أنفسهم الذين طعنوني بين الصخور(تعبير عام عن الرعب)

بونامو: اكتب أسماءهم

فرانسيسكو : (يومئ بعنف يدل علي التذكر المؤلم، ثم يكتب) أبدا..

بونامو: هل أعرفهم؟

فياميتا : (مقاطعة) تعرفهم.. تعرفهم..

بونامو: وهل هم أغنياء؟

فرانسيسكو : (يكتب) أغنياء وذوو نفوذ

بونامو: مذهل!! رفضك أن تذكر أسماءهم، يؤدي إلي شكوك غريبة. يجب أن أعرف المزيد اخبرني بكل شيء، أو لتترك بيتي.

(موسيقي تعبر عن الألم والاضطراب. يدخل «بيرو»)

بيرو : الكونت «رومالدي» يا سيدي

فرانسيسكو : (يتحرك وقد صفعه الإنذار)

ستيفانو: هكذا بسرعة!!

بونامو: اصعد به.

بيرو : ها هو يا سيدي(موسيقي مماثلة. يدخل «رومالدي» فجأة، بينما يحاول «فرانسيسكو» المرور من الباب. يتقهقران عند رؤية أحدهما للآخر. يلملم «رومالدي »نفسه، ويترك «فرانسيسكو» الغرفة في معاناة عقلية)

بونامو: ماذا يعني كل هذا!! أين ذهب؟ ناده ليرجع يا «فياميتا»!!

(تخرج «فياميتا» مع «ستيفانو»، وكلاهما ينظر إلي «رومالدي» بكراهية)

رومالدي: (بارتياح اضطراري) أنا هنا أخيرا يا صديقي الطيب، منّيت نفسي طويلا أن تسعد برؤيتك. أصافحك.. لكم تبدو نظرتك ودودة! وابنة أخيك الحبيبة! صورة من أبيها!

بونامو: بل صورة من أمها.

رومالدي: سيعشقها ابني. أتوقع أن يأتي هنا خلال يومين. عندي عمل جاد لأنهيه..

سلينا : (إلي عمها) لتسمح ليّ بالانصراف يا سيدي

بونامو: (بحنان) اذهبي يا طفلتي.. اذهبي..

سلينا : (جانبا) هبتك أيتها السماء الرحيمة!..لا يمكنني أن أسقط أضحية

للجشع! (تخرج)

بونامو: والآن، ما الذي يرضيك يا كونت؟

رومالدي: كلا، لا يمكنك أن تتخيل مهمتي؟ تعرف صداقتي مع ابني، وهو- اسمح ليّ أن أقول لك- سيعجبك كثيرا. إن الرعاية التي أوليتها لابنة أخيك، وتعليمها، وتربيتها وعقلها، وولي الأمر المخلص الذي كنته لثروتها ولشخصها، كل أولئك يستحق الثناء

بونامو: لو أنني قمت بواجبي، فإنني محظوظ بشدة.

رومالدي: إنها جد لطيفة، ولست تجهل عاطفة ابني نحوها. إن واجبك نحو ابنة أخيك لابد وأن يجعلك صديقا. ولذلك جئت.. وبصراحة كاملة لأقترح أن يرتبطا.

بونامو: وأنا، بصدق مماثل، ينبغي أن أخبرك بأنني لا أستطيع أن أعطيك ردا.

رومالدي: (بغطرسة ومفاجأة مؤثرة) لا رد..!

بونامو: مكانتك وثروتك يجعلان العرض مغريا، ولكن مازالت هناك مسألة أكثر جدية.

رومالدي: (باللهجة نفسها) وما هي؟

بونامو: هذه المسألة يجب أن تقررها ابنة أخي بنفسها.

رومالدي: فتاة عديمة الخبرة مثلها، لا ينبغي أن يكون لها رأي.

بونامو: كيف يا لورد! أتجر العروس بالقوة إلي ذلك المذبح المقدس، حيث تعلن أن اختيارها حر في وجه السماء؟

رومالدي: مجرد مراسيم شكلية؟

بونامو: مراسيم شكلية!! فكر بنفسك، خشية أن يصبح الزواج مهزلة، والحرية

شيء للتهكم، والزنى نفسه مجرد مخالفة تدفع عنها الغرامة!.

رومالدي: إيه، إيه!! أنت فيلسوف أخلاقي، رجل الذمة والضمير.. ابنك أكد أن له تأثير علي «سلينا».

بونامو: سيدي اللورد!!

رومالدي: بلا غضب. إنني أتحدث بصفتي صديقا. ثروتها مغرية.. ولكنك تزدري أن تكون ذا رأي مؤثر. إن ثروة ومكانة عائلتنا..

بونامو : نبهتني. حقيقة.. مازلت أقول ينبغي أن أستشير ابنة أخي.

رومالدي : حقا! (بصرامة) إذن فإن تحالفنا فيما يبدو مرفوض؟

بونامو : علي الإطلاق. أنا لا أملك الحق لا في الرفض ولا القبول. إذا «سلينا»..

(تدخل«سلينا» برسالة)

سلينا: (متجهة إلي «بونامو») من التعس «فرانسيسكو».

رومالدي: ماذا.. ذلك الضيف الغريب الذي قابلته، بينما أدخل؟

سلينا : (جانبا) إنه يعرف اسمه!!

رومالدي: نسيت أن أسألك، كيف سمحت له بالدخول إلي هنا؟

سلينا : (باستياء ملحوظ) آمل يا سيدي اللورد، أن تكون بعض أبواب الإحسان مفتوحة دائما للتعساء!!.

رومالدي : (بسخط مهذب) إنني أخاطب عمك يا فتاتي الحبيبة.

بونامو: حين حضرت، كان يقص علينا مخاطرته التي كانت غريبة.

رومالدي: (مسيطرا علي نفسه) وهل كنت ساذجا بما يكفي يا صديقي، لتصدق هذه الحكايات؟

سلينا : أي حكايات سيدي اللورد؟

بونامو: الأدلة مُقنِعةً!!.. التشوهات التي عاناها، الجروح التي تلقاها.. ليست عصابة من هنا

رومالدي: (حذرا) هل ذكر اسم..؟

بونامو: من؟؟ الوحوش الذين آذوه؟.. لا، إنه لا يعرفهم.

رومالدي: لحسن الحظ.

بونامو: أدهشني أن أعرف..

رومالدي: ماذا؟

بونامو: أنهم أغنياء وذوو نفوذ. ولكنني نسيت.. الحكاية قد لا تكون مهمة لك.

رومالدي: (بلهفة) أنت مخطئ.. إنني (يستجمع نفسه) مشاعري حارة بقدر ما تكون مشاعرك.

بونامو: ولكن ما الذي كتبه؟ (يوشك أن يفتح الرسالة)

رومالدي: لو أخذت بنصيحتي، لا تقرأها. لا شك أن لديه مزيدا من الشكاوى، والحكايات، أو مزيد من العطايا يطلبها. كن كريما ومضيافا..ولكن لا تكن ساذجا.

بونامو: أعترف أنني أتشمم خطرا منه..

رومالدي: (يمسك بالخطاب الذي يحتفظ به «بونامو» بإهمال) إذن دعني أحميك منه.

سلينا : (بعد أن راقبتْ «رومالدي»، وتوقعت ما سيفعله، تختطف من خلفه الخطاب. بينما يرتبك، مما يثير شكوكها) هذا الخطاب سيدي اللورد أخذته علي مسئوليتي، ووعدت أن أتلقي الرد،وأتوسل إلي عمي أن يقرأه..

بونامو: حسنا، حسنا (يقرأ) «أينبغي أن أبقي بينما سلامة عائلتك يمكن أن تتهدد.. لذلك سأرحل، ولكني أتوسل إليك ألا تعتقد فيّ الزيف ولا الجحود. أينما أكون، ستبقي أمنياتي وقلبي هنا.. الوداع»..لن يرحل.

رومالدي: لم لا؟ إنه يعترف أن سلامة عائلتك مهددة..

بونامو: طِري يا «سلينا»، قُلي له إنني أحتاج إليه.. سليه أن يبيت هنا الليلة، وسأتحدث معه في الغد.

رومالدي: (جانبا) هذا لا ينبغي أن يكون.

سلينا : شكرا جزيلا يا عمي العزيز! لقد أسعدتني..

(تخرج مسرعة. موسيقي توحي بالاضطراب. يدخل «بيرو»)

بونامو: ماذا وراءك يا بيرو؟

بيرو : السيد «مونتانو»، في الدور السفلي!.

رومالدي : (جانبا وفي حذر) «مونتانو»!!

بونامو : لكم يسرني حضوره، لأنني أريد نصيحته (إلي «رومالدي») من أفضل الرجال..

بيرو: اصعد من فضلك يا سيدي..

رومالدي : بإذنك.. سأنسحب..

(يدخل «مونتانو». الموسيقي تعزف علي البيانو بشكل تحذيري، حينما يقول)

مونتانو: معذرة.. أيها الرجل الطيب، ولكن (تعلو الموسيقي وبتنافر في اللحظة التي تلتقط فيها عين «مونتانو» صورة «رمالدي»، فيحدق فيها بذعر وامتعاض. وبعدها ينهي نظرة وهيئة الخطر، التي يعيدها «رومالدي. تتوقف الموسيقي) هل هذا ممكن؟!

رومالدي : (مستعيدا نظرة التهديد) سيدي!!

مونتانو: أنت هنا..

رومالدي: ليس بعدما تشرفت بمعرفتك.. لا أدري إذا ما كان حضوري يسعدك أو يسوءك

مونتانو : (بعد نظرة احتقار صارمة إلي «رومالدي» يخاطب «بونامو») عمت مساء صديقي. سأراك في الغد (يخرج فجأة. موسيقي فزع، ولكن بنصف بيانو)

بونامو : (مناديا) لا، لا.. سيد «مونتانو»، يا سيد «موناتنو»! هل جن الناس جميعا؟ فيامتا!

فيامتا : (من الخارج) نعم يا سيدي..

بونامو: اجر، والحقي به.. قلي له يجب أن أتحدث إليه (تتوقف الموسيقي. إلي «رومالدي») معذرة لانصرافه..

رومالدي : ولم بهذه العجلة؟ سمعت عنه.. شخص ساذج، راوٍ للقصص الغريبة..

بونامو: سنيور «مونتانو»، ساذج!! لا يوجد في كل «سافوي» رجل بسلامة عقله. عمت مساء يا لورد، سأرسل إليك خادمك.. ذلك الباب يؤدي إلي غرفة نومك. اطلب ما شئت، البيت تحت إمرتك. (يخرج بنظرات ارتياب. موسيقي الشك والذعر)

رومالدي: فيما ينبغي أن أفكر؟، كيف أتصرف؟، يبدو أن يد العناية الإلهية ارتفعت لتضرب ضربتها. هل أصبحت جبانا؟ هل أخون نفسي بدلا من الدفاع عنها؟، لم أعد أبلها بعد (موسيقي توحي بالتهديد. يدخل «مالفوجليو»، خادم الكونت، الذي يلحظ سيده. تتوقف الموسيقي)

مالفوجليو : يبدو أن سيادتكم منزعج؟

رومالدي: «فرانسيسكو» هنا..

مالفوجليو : رأيته..

رومالدي: ولم يتجمد دمك؟؟

مالفوجيلو : كنت آسفا..

رومالدي: لماذا؟

مالفوجليو : لأن خنجري أخطأ هدفه.

رومالدي: إننا تحت سيطرته

مالفوجيلو : بل هو تحت سيطرتنا

رومالدي: فيما تفكر؟

مالفوجليو: ما أفكارك أنت يا سيدي اللورد؟

رومالدي : خمنها..

مالفوجليو: الجلادون..

رومالدي : فساد السمعة

مالفوجليو: زفة الفضيحة

رومالدي : مقالات اللعنات

مالفوجليو : من ذلك كله يمكن أن تنقذنا الضربة.

(تدخل «سلينا»، وتختبئ خلف الباب المواجه لغرفة «رومالدي»، وتنصت إليهما)

رومالدي: إنها جريمة ملعونة!

مالفوجليو : وهل كانت الأولى!؟

رومالدي : أين ينام؟

مالفوجليو : هناك.. (مشيرا إلي الغرفة المواجهة لغرفة «رومالدي»)

سلينا : (من خلف الباب) إنهم يعنون «فرانسيسكو»!

رومالدي: أحمق وعنيد!.. منذ أن قرر البقاء

مالفوجليو: يجب أن يموت

سلينا : الوحوش!!

رومالدي: أسمع ضجة..

مالفوجليو: (ناظرا باتجاه الأبواب المطوية) أنه قادم..

رومالدي: لننسحب وندبر أمرنا..

مالفوجليو: ثم، في منتصف الليل...

رومالدي: حين ينام..

مالفوجليو: لن يصحو مرة أخرى..

(يخرجان إلي غرفة الكونت. المسرح مظلم. موسيقي ناعمة ولكنها تعبر عن الألم والتحذير الأول ثم الأحاسيس المتتابعة في المشهد. تدخل «فيامبتا» مع «فرانسيسكو» بالمصباح الذي تضعه علي المنضدة. تتطلع إليه في إشفاق، مشيرة إلي غرفة نومه، ثم تطرق برأسها في طيبة واحترام وتنسحب، بينما يرد إليها ما أبدته من طيبة. يقعد وكأنه سيكتب، يهم ويأخذ المصباح متطلعا حوله في توجس، يتجه إلي باب غرفة «رومالدي»، يبدأ التخلص من الذعر، ويسترد أنفاسه، ثم يضع ثانية المصباح علي المنضدة، ويقعد فترة للكتابة. ينفتح باب غرفة «رومالدي»، ويطل منه «مالفوجليو»، مراقبا فرانسيسكو، ولكن بينما يستدير ينسحب مرة ثانية. تدخل «سلينا» التي تجذب كم «فرانسيسكو» برقة، يجفل ولكن يراها،

تشرق ملامح وجهه في سرور. تخفت الموسيقي إلي النصف)

سلينا : (في صوت منخفض) لا تخاطر بالنوم. سأظل في المراقبة، حياتك في خطر!

(تخرج «سلينا». تستمر الموسيقي هائلة. يستل «فرانسيسكو» - بكثير من الهياج- زوجا من المسدسات ويضعهما علي المنضدة، ويقعد ثانية فربما تعين عليه أن يكتب المزيد. يظهر «رومالدي» ومعه «مالفوجليو»، تتوقف الموسيقي فجأة)

رومالدي: (إلي «مالفوجليو») راقب المدخل (إلي «فرانسيسكو»)، أيها الأحمق التعس!، لماذا بقيت هنا؟

(موسيقي رعب، اضطراب، خطر، تسلط. يقف «فرانسيسكو» قابضا علي المسدسين ويوجههما نحو«رومالدي» و«مالفوجليو»، ويأمر «رومالدي» بالإشارة أن يقرأ ورقة علي المنضدة. تتوقف الموسيقي).

رومالدي: (يقرأ) «أيها الطفيلي المتسلق، اترك البيت ولا تضطرني أن أخونك. لا تجبرني أن أدافع عن نفسي».. أحمق!، تتظاهر بإلقاء الأوامر؟ (يرميه بمحفظة) إننا اثنان. خذ هذه وطر من هنا (موسيقي. يوجه نظرة توسل بإشفاق، يزدريها منه «فرانسيسكو» الذي يأمرهما بالرحيل. لحظة.. تتوقف الموسيقي. ثم جانبا إلي «مالفوجليو») لن يطلق النار (موسيقي. يستلان خنجريهما، فيتفاداها «فرانسيسكو»في البداية، ولكنهما يقبضان علي ذراعيه، ويكادان يطعنانه، حين تتصاعد صرخات «سلينا»، مرتبطة بموسيقي من النوع نفسه. الصرخات تستحضر «بونامو» و«ستيفانو»، والخدم، عبر الأبواب المطوية)

سلينا : عمي!، ستيفانو! قاتل.. قاتل... قاتل (لدي سماع «رومالدي» و«مالفوجليو» الضجة في الخلفية، يطلقان«فرانسيسكو»، ويتظاهران بأنهما

يقفان في حالة دفاع عن النفس. تتوقف الموسيقي)

بونامو: ماذا تعني هذه الصرخات؟، أي تصرفات غريبة تجري هنا؟

سلينا : إنهم يثيرون الذعر!!

بونامو: لماذا سيدي اللورد، هل جردت هذه الخناجر ضد رجل تحت حمايتي؟

رومالدي: الدفاع عن النفس واجب. ألم يسدد مسدسه إلي صدري؟

بونامو: (إلي فرانسيسكو) أيمكن هذا؟

فرانسيسكو : (يحني رأسه)

بونامو: أهكذا ترد الضيافة؟

سلينا : لقد خدعت يا سيدي، حياته كانت مهددة..

رومالدي: (بصرامة) يا سيدتي!!..

سلينا : لست أخشاك.. لقد رأيت كل شيء، وسمعتك

بونامو: هل هذا صحيح؟

رومالدي: لا..

سلينا : وحق السماء الطاهرة، صحيح..!، من خلف هذا الباب سمعت كل شيء، إما يرحل «فرانسيسكو» من البيت، أو يقتل!!

رومالدي : (إلي «بونامو» بصرامة) لا أتوقع يا سيدي أن تكون كلمتي موضع شك.

بونامو: سيدي اللورد، هناك شيء واحد لا يمكنني الشك فيه، أن الرعب انتشر في بيتي من اللحظة التي ظهرت فيها. عقول الناس ارتبكت بمجرد أن رأوك، بدوا وكأنهم جميعا يتجنبونك. وكأن لغزا نادرا يرافق حضورك، ولذلك يمكنني الآن وبإصرار أن أرد علي طلبك.. إن ابنة أخي لا يمكنها أن تكون زوجة لابنك، وينبغي أن أضيف إنك تضطرني أن أرفض شرف زيارتك

الحالية.

رومالدي: (بتهديد الغطرسة) انطق بالحقيقة أيها العجوز، واعترف أنه يسرك أن تجد ذريعة لتلوين الرفض وإرضاء طموحك. زواج ستيفانو من سلينا.. إنك تريد ثروتها، وبهذه الطريقة تضمنها. ولكن.. حذاري!.. تجاسر وتابع مشروعك، وسترتعد من النتائج! في الغد قبل العاشرة تماما، إما أن ترسل موافقتك مكتوبة، أو لتخش مما سيحدث.

(يخرج «رومالدي»، و«مالفوجليو»، علي موسيقي ملائمة)

بونامو: رجل خطير ومتغطرس! ولكن تهديده عقيم.. لقد أزيلت شكوكي. «سلينا» لن تكوني ضحية المخاوف الجبانة والاحتراس مهما كان معتدلا. أعرف أمنياتك يا طفلتي. لننسحب الآن (إلي الخدم) اتخذوا الاستعدادات للابتهاج والفرح. غدا صباحا خطبة «سلينا»، و«ستيفانو»(موسيقي فرح مفاجئ. وبينما يبتهلون)

ستيفانو : أبي العزيز..

سلينا : عمي الغالي.. الأفضل بين أولياء الأمر (تتوقف الموسيقي)

بونامو: «فرانسيسكو»، سيشاركنا سعادتنا المشتركة.

فياميتا : (إلي «فرانسيسكو») بينما يتراجع الجميع) آه.. يا عزيزي! لن أنام الليلة.. لن أنام.. (يخرجون. «بونامو» يعبر عن المودة للكل، الذين يتجاوبون معها جميعا، ويعايش «فرانسيسكو» فرحة مساوية لفرحة الأحبة.الموسيقي الحلوة البهيجة تخفت تدريجيا)

(نهاية الفصل الأول)

(الفصل الثاني)

(المنظر الأول: حديقة جميلة، وممرات ممتعة، مزينة بالأكاليل، وأقواس الزهور والأوراق الخضراء المدلاة، ووسائل البهجة، وكل الاستعدادات لحفلة زواج. موسيقي فرح. البستاني الأول والثاني، «بيرو» ورفاقه، الجميع مشغولون)

بيرو: تعالوا.. تعالوا.. جهزوا أنفسكم!، كلهم سيكونون هنا حالا.

البستاني 1 : حسنا.. فليأتوا.. كله تمام .

بيرو : للحديقة منظر رائع، بلمساتي!

البستاني 1 : أعتقد ذلك.. والفضل ليّ.

بيرو : والفضل لك!

البستاني 2 : وليّ..

بيرو : ولك؟ يا للوقاحة!! وأنا أقول الفضل لي.

بستاني1،2: أنت.. حقا!!

بيرو : لم؟ بالتأكيد.. لن تكون لديك الجرأة للتظاهر بإنكار تعبي في العمل.

بستاني 1: تعبك؟

بستاني 2 : تعبك؟

بيرو : آه.. تعبي! تعبي! (يدخل«ستيفانو»)

ستيفانو : ما الأمر أيها الأصدقاء الأمناء؟

البستاني 1 : الأمر!.. ها هو «بيرو» يحاول الدفاع عن ادعائه بأنه وراء كل ما أنجز

هنا.

البستاني 2 : نعم.. ويقول إن كل شيء يدين بالفضل إلي تعبه

البستاني 1 : والآن أزعم أن التعب كله، كان من نصيبي أنا (إلي ستيفانو) مع التسليم بجهدك أنت يا سيدي

البستاني2 : وجهدي أنا..

البستاني1 : ونشهد أنك أصدرت الأوامر الأولى

بيرو : ولكن ألم تصدر هذه الأوامر لي أنا يا سيدي؟ ألم تقل يا بيرو..

ستيفانو : (مقاطعا) كفي... كفي.. كل رجل منكم أدي ما عليه، الكل رائع، وأنا أشكركم عن طيب خاطر. هل دعوتم القرى؟

بيرو : دعوتهم! لم يسمعوا عن الزفاف إلا وطارت عقولهم! سيكون هناك رقص وألعاب رياضية!، ثم موسيقي! «ناني» الصغيرة بأرغنها اليدوي!، أخوها بالطبلة والناي!، والقائد الأعمى!، وعازف المزمار الأعرج، وأنا بقيثارة اليهودي! يا لها من فرقة!

ستيفانو : عظيم!... مر بأن يكون كل شيء علي أفضل حال

بيرو : ولكن من يأمر؟ من فضلك خبرني بذلك يا سيدي..

ستيفانو : إيه؟ أنت..

بيرو : هاي.. (إلي رفاقه) اعقلوها!.. أنا من يأمر!، هه؟ خذوا بالكم!

ستيفانو : ستكون المايسترو الرئيسي لليوم..

بيرو : سمعتم، سأكون المايسترو(1) الرئيسي لليوم

ستيفانو : «سلينا »قادمة.. هيا، كلٌ في مكانه (موسيقي. يهرع كل منهم إلي القوس

(1) ينطق التوصيف بطريقة خاطئة وهزلية

الذي يزينه، ويخفون أنفسهم بالأشجار والآجام. يدخل «بونامو» و«سلينا» و«فياميتا. تتوقف الموسيقي)

بونامو: (متطلعا حوله) أووه.. رائع جدا، كما أمرت.

سلينا : (بحنان) أخشي عليك يا «ستيفانو»، إنك لم تنم إلا قليلا.

بونامو: (بخفة ومرح) ينام! لديه في الحقيقة شيء أفضل ليفكر فيه. تعالي.. تعالي.. سنتناول إفطارنا في التكعيبة. مري بالإفطار يا «فياميتا».!

فياميتا: حالا يا سيدي (تخرج وتعود مع الخدم، وتعاونهم في إعداد مائدة الإفطار)

بونامو: لكم تنتعش الشيخوخة بسعادة الأبناء! ورغم ذلك (يتنهد) كنت يتيمة لفترة طويلة يا «سلينا»، أطول من الفترة التي ضاعفت فيه ثروتك. ثروتك كانت ضخمة عند موت أخي المفاجئ. هل كانت ثروتك أقل، أو أنا من زادها!

سلينا : ولماذا يا عمي العزيز؟

بونامو: ألسنة السوء! هذا المدعو «رومالدي»

ستيفانو : انسه..

سلينا : وهل كان هذا ممكنا!، تهديده كان قبل العاشرة، وقد مضت هذه الساعة!

بونامو: تعالوا، تعالوا.. لن نزعج قلوبنا بالمخاوف. لنتناول إفطارنا، ثم إلي موثق العقود. لقد أنسيت «فرانسيسكو»، لماذا لم يأت إلي هنا؟

سلينا : هل أناديه؟

بونامو: ألا تذهبين إليه يا «فياميتا»؟

فياميتا: بكل سرور.

بونامو: تعالوا.. اجلسوا (يجلسون. موسيقي مرحة. يظهر«بيرو» خلف شجيرة،

و«ستيفانو» يلمحه ويعطي تصفيقا لطيفا بيده، فيظهر الفلاحون كلهم من الأماكن التي اختبئوا وراءها، ويعلقون أقواس الزينة فوق «بونامو» و«سلينا» و«ستيفانو». ثم تتوقف الموسيقي).

بيرو : إيه.. ما رأيك في ذلك الآن؟

بونامو : ساحر!.. ساحر!

بيرو : أتمنى لو ما كنت رئيسا لغير ما سبب؟

بونامو : (إلي «فرانسيسكو» الذي يدخل مع «فياميتا») تعالي يا عزيزي. أرجوك خذ مقعدك

بيرو :(إلي«ستيفانو») سيدي.. هل نبدأ الألعاب؟

ستيفانو : (يعطي إشارة تأكيد)

بيرو : هاي!.. الراقصون، نافخو المزامير، عازفو الوتريات، ناقرو الإيقاع.. هيا لأماكنكم هذه الأريكة لفرقة الموسيقي.. اصعدوا إليها.

(هنا يبدأ الرقص الذي ينبغي أن يكون غريبا هزليا ومن النوع المشوه المبالغ فيه، وتتخلله المواقف الطريفة، والإيماءات اللطيفة في تقليد متسلقي الجبال، أو العنزات التي يحتفظون بها.. الخ، فذلك رقص الفلاحين الإيطاليين المرح. وفي وسط البهجة تدق الساعة، فيتوقف الرقص فجأة، وتتغير الموسيقي بما يوحي بالنذير والفزع. يدخل «مالفوجليو» ويتوقف في منتصف المسرح. تتحرك الجماعة: «فرانسيسكو»، «ستيفانو»، «سلينا»، و«بونامو»، كل منهم يعتريه الذعر بدرجات متفاوتة. الفلاحون يتنبهون ويراقبون، بينما يشكل الجميع لوحة أثناء الصمت. «مالفوجيلو» يقدم خطابا إلي «بونامو» بتأكيد لا يخلو من خبث، ويستدير خارجا، راضيا بالذعر الذي أحدثه، وينسحب بمزاج فيه

جرأة. بينما يفتح «بونامو» الخطاب ويقرأه بهياج عظيم، تعبر الموسيقي عن الاضطراب والألم في التفكير، ثم تتوقف)

بونامو: أوه، عار!، نذالة!، خيانة!

ستيفانو : ماذا بك يا أبي!

فياميتا: أي خيانة!

فرانسيسكو:(بهيئة فيها يأس وقنوط)

بونامو : لا مزيد من الحب أو الزواج، لا مزيد من الألعاب، والابتهاج والمرح..

ستيفانو : يا لرحمة السماء!!

سلينا : أبي! صديقي! عمي!!

بونامو : (يصدها) لست عمك!

سلينا : سيدي!!

ستيفانو : لست عمها؟

بونامو : إنها ابنة الخطيئة، ابنة الزني (ذهول عام. يتصاعد قنوط «فرانسيسكو»)

ستيفانو : هذه فرية حقد يا أبي!

بونامو : اقرأ

ستيفانو : افتراء من«رومالدي»!

بونامو : (بجدية) اقرأ..

ستيفانو : (يقرأ) «سلينا» ليست ابنة أخيك. ولأبرهن لك إنني لا أقول شيئا سوي الحقيقة، أرسل إليك شهادة تعميدها»

بونامو : وها هنا وثيقته. اقرأ المزيد..

ستيفانو : (يقرأ) في تمام العاشرة من مساء الحادي عشر من مايو 1584، تعمدت «سلينا بيانكي»، ابنة «فرانسيسكو بيانكي». («فياميتا» تلفظ صرخة، وتهوي علي مقعد)

سلينا : هل هذا ممكن!، أبي! («فرانسيسكو» يفتح ذراعية، وتهوي«سلينا» علي عنقه)

ستيفانو : يا للدهشة!!

بونامو : رجل آثم! يرتضي أن يجلل أخي بالخزي، ثم يستدر عطفي. أتزيد وتجعلني أوقع عقد التحالف الأكثر خزيا؟؟ اذهب!.. أنت ونسل خطيئتك.

ستيفانو : «سلينا» بريئة..

فرانسيسكو: (يؤكد قول «ستيفانو»)

بونامو : أبوها تعيس! مرة أخرى، ارحل..

فرانسيسكو: (الذي كان خلال هذا الحوار، يحتضن ابنته بين ذراعيه، ينتفض بإحساس الجريح الآن، ويقودها خارجا)

بونامو : انتظر أيها الرجل البائس (لنفسه) بلا بيت، ولا فلس، بلا خبز ولا مأوى، هل يجب أن تهلك لأن أباها شرير؟ (إلي «فرانسيسكو») خذ هذه المحفظة واخف بها عارك، وحين تفرغ دعني أعرف مكان اختفائك.

فرانسيسكو: (يعبر عن الشكر والامتنان، ولكنه يرفض المحفظة)

سلينا : (بمودة) وفر كرمك يا سيدي، إلي أن تعتقد أننا نستحقه

بونامو : مسكينة «سلينا»!!

ستيفانو : (بلهفة) ماذا تقول يا سيدي؟

بونامو : لا شيء، دعهم يرحلوا.

سلينا : ستيفانو! الوداع..!

ستيفانو : لن ترحل، وإلا.. سأتبعها..

بونامو : وتهجر أباك! يا لك من ولد جاحد! (إلي «فرانسيسكو») قلت لك ارحل، ولا تجعلني أراك ثانية (إلي الفلاحين) احتجزوا هذا الشاب الشرس

(موسيقي مضطربة عنيفة. «ستيفانو» يحاول شق طريقه بقوة إلي «سلينا»، تحتضنها «فياميتا» بعاطفية مؤثرة، وتؤنب «بونامو» بالإشارة، ولكنه يصر علي موقفه وإن يكن معذبا بالشك. يهرب «ستيفانو»، ويهرع فجأة باتجاه «سلينا»، ليحتجزها، وبعد جهود عنيفة يضطره الفلاحون إلي الانفصال عنها، وبينما يتقهقرون للجانب المضاد في كفاح وألم، ينتهي المشهد).

***

(**المشهد الثاني**: بيت «بونامو»، الفلاحون يحضرون «ستيفانو»، ويتركونه في الغرفة)

بونامو : ولد عاق، عديم الإحساس!

ستيفانو : (منهكا) سلينا!، أعد ليّ سلينا، وإلا فخذ حياتي!

بونامو : كف عن هذه الشكوى

ستيفانو : إنها المرأة التي أحبها..

بونامو : أتجرؤ..؟!

ستيفانو : أبدا، ولكنها ستكون زوجتي

بونامو : زوجتك!

ستيفانو : وسأتبعها إلي نهاية العالم!!

بونامو : وتتخلى عن أبيك؟ الآن بينما الشيخوخة والضعف، يدفعانه إلي القبر؟

ستيفانو : سنعود لنسألك البركة..

بونامو : ستيفانو! إنني أحببتك كأب، فحذاري من لعنتي..

ستيفانو : حينما تكون لعنة الأب ظالمة، فالسماء صماء

(تدخل «فياميتا»، محتفظة بغضبها)

فياميتا: عظيم! كل شيء مضبوط!، ولكن ستري كيف ينتهي الأمر!

بونامو : (إلي «ستيفانو») لن أشك في الكونت أكثر من ذلك. كان «رومالدي» قد نصحني بأن أطرد هذا الرجل الوغد من بيتي.

فياميتا: الكونت «رومالدي» نفسه، وغد.

بونامو : فياميتا!!!

فياميتا : (تغلبها عاطفتها) أقولها لك ثانية، إنه وغد حقير تعيس، وكاذب....

بونامو :(بجبروت) الحقيقة.. الشهادة لا جدال فيها.

فياميتا: ما كنت لأحمل ذنب آثامك أمام العالم كله.

بونامو : يا امرأة!!

فياميتا : لن أبالي بك. أحببتك هذا الصباح وكدت أفقد حياتي من أجلك، ولكنك أصبحت شريرا

بونامو : ألن تلزمي الصمت؟

فياميتا : أوليس شرا أن تطرد المخلوقة البريئة الحلوة، عديمة العون، مخلوقة تتصرف بمثل هذه الرقة، وتتركها أخيرا للجوع؟، أوه!! لكم كان كريها تصرفك!.

بونامو : مرة أخرى، امسكي لسانك.

فياميتا: لن أسكت!، لا أستطيع! مسكين«ستيفانو»، هل تظن أنه سيمتنع عن حبها؟، لو أمكنه سأكرهه! ولكنه سيجدد هربه. يمكنك استبقاءه اليوم، ولكنه سيرحل في الغد. سيفعلها ويجد «سلينا» اليائسة الحبيبة، ويتزوجها ويعيشان في فاقة، ولكن سيعملان ويأكلان لقمتيهما بشرف وضمير، بينما تصبح أنت بأطعمتك الشهية موجوع القلب!

بونامو : لآخر مرة، أحذرك...

فياميتا : أعرف ما هو أسوأ. عملت من أجلك في بداية شبابي كلها، والآن تكافئني كما كافأت المسكينة التعسة «سلينا»، ستطردني. ولكني لن أرحل حتى أخرِج كل ما في نفسي، ولذا أقول لك ثانية إنك عمٌ قاسي القلب، وأب بلا إحساس، وسيد ظالم!، وسيتجنبك كل الناس، وستتضاءل في حياة البؤس، ولن يشفق بك أحد، لأنك لا تستحق الشفقة. والآن سأرحل حالا، كما تتمني.

(يدخل سنيور «مونتانو» متعجلا، ويتنبه إليه «ستيفانو»، و«فياميتا» بلهفة)

مونتانو : ما هذا الذي سمعته يا صديقي؟ هل طردت ابنة أخيك؟

بونامو : ليست ابنة أخي

مونتانو : هذا صحيح.

فياميتا : كيف؟

مونتانو : ولكن من أين علمت بذلك؟

بونامو : من هذه الأوراق.

مونتانو : ومن أرسلها؟

بونامو : الكونت «رومالدي».

مونتانو : الكونت «رومالدي» وغد..

فياميتا : قلتُها!، قلتُها!

ستيفانو : سمعت يا سيدي!!

فياميتا: أتمني لو تصدقني فيما بعد.

بونامو : (مهتما بشدة) صمتا يا امرأة!. من رجلٍ مثلك، هذا الاتهام، لا يمكن أن يكون بغير أدلة كافية.

مونتانو : وإليك هذه الأدلة.. أصغ إليّ.

فياميتا : وأنا لن أتنفس..! لن تخرج من بين شفتي كلمة واحدة. (يلتفون حول «مونتانو»)

مونتانو : منذ ثمانية أعوام مضت، وقبل أن أشرف بمعرفتك، كنت عائدا ذات مساء بعد زيارة أصدقاء ليّ، كنت أرتقي من قبيل الترف، صخرة «أربيناز»

فياميتا : إيه! إيه!.. صخرة «أربيناز»! إذن فقد سمعت!، ولكني لن أقول كلمة..

مونتانو : كان هناك رجلان، بمنظر فيه شراسة وملطخين بالدم، مرا بجواري بسرعة، وعلي هيئتهم مطبوعة كل آثار الذنب..

فياميتا : الأمر نفسه..!، ثمانية سنوات مضت!، صخرة «أربيناز»!، و..

بونامو : اسكتي!

فياميتا : لن أنطق كلمة. قل كل شيء يا سيدي.. أنا خرساء.

مونتانو : لم يبتعدا أمامي سوى مائة خطوة، والرجل الذي يبدو أنه القائد ترنح وسقط. أسرعت إليه، كان ينزف بكثرة، حملته مع خادمه إلي بيتي. قالوا إن قاطع طريق هاجمهم، ورغم ذلك فثيابهم الممزقة، والجرح العميق الذي تلقاه السيد علي ظهر يده، وجروح أخرى، يبدو أن السبب فيها رجل غير

حذر، كل هذا جعلني أرتاب. كما أن حرجهم زاد من شكوكي، التي أكدها في اليوم التالي «ميشيلي» الطحان الأمين في «أبريناز» وكان في المساء السابق، بالقرب من البقعة نفسها التي رأيت فيها هذين الرجلين يصعدان، قد أغاث تعسا مسكينا، كان قد جرح وتشوه بشكل مخيف.

فياميتا: كله صحيح، كنت أنا نفسي.. صرخاتي ما جعل «ميشيلي» يأتي؟! من ثمانية أعوام..

بونامو: ثانية؟!

فياميتا: سكت!

مونتانو : لم أعد أشك أنني استضفت رجال الدم، وأسرعت لأسلمهم إلي العدالة، ولكن عندما عدت، كانوا قد تسللوا، بعدما تركوا محفظة وهذا الخطاب.

بونامو: (بعدما يري الخطاب) هذا خط يد «رومالدي».

مونتانو : تخيل المفاجأة والاستياء الذي اعتراني مساء أمس، حين رأيت هنا القاتل مرة أخرى! لم أستطع أن أميز انفعالي، وتركتك بهذه الطريقة الفظة، لأعطي تعليمات فورية. إن رماة السهام في الطريق، ولا شك أنهم سيمسكونه، كما أمسكوا بالفعل شريكه.

ستيفانو :«مالفوجليو»..

مونتانو : نعم.. وقد أدلي بالاعتراف..

ستيفانو : ماذا؟

مونتانو : اعترف أن الاسم الحقيقي للمدعو«رومالدي»، هو «بيانكي».

بونامو : يا للسماء!! أخو «فرانسيسكو»!

مونتانو : الذي أحبت زوجته هذا الأخ الشرير. ولكنها تزوجت «فرانسيسكو» خاصة، فحملت منه ووضعها تحت حماية صديق له هنا في«سافوي».

ستيفانو : عمي! وموته المفاجئ احتفظ بالسر.

مونتانو : ولكن «رومالدي» الزائف دبر شرك «فرانسيسكو» تحت إمرة الجزائريين، واستولى علي عقاراته، ولما وجد أنه هرب، حاول أن يغتاله.

فياميتا: هل اقتنعت الآن! ما كان ليبلغ هذا الأخ رضيع الفظاعة! (ترفع يدها المتشابكة) قلت لك إن«فرانسيسكو»ملاك، ولكن رغم كل معرفتكم بي، لم تصدقوني.

بونامو: ألن تسكتي.

فياميتا: لا، لن أسكت. «فرانسيسكو»ملاك، و«سلينا» ملاك، و«ستيفانو»ملاك، وسيتزوجان، وسيكوّنان عائلة واحدة، ستستقبلك بالأحضان إذا ندمت.

بونامو :(ببطء وجدية) بربك أيتها المرأة الطيبة، امسكي لسانك.

فياميتا : ثب إذن، واندم..!(هنا يسمع الرعد من بعيد، ويدركون العاصفة المتصاعدة)

بونامو : (إلي«مونتانو»، و«ستيفانو») إني نادم..

فياميتا : (بعاطفية) إذن أسامحك (تزفر) ولن أتخلى عنك. أنت سيدي مرة أخرى (تقبل يده، وتمسح عينيها)

بونامو : ولكن أين نجد «سلينا»، و..

فياميتا : أوه!! أنا أعرف أين هم!

ستيفانو : (بلهفة) أتعرفين؟

فياميتا: طبعا، ألم تتوقع ذلك (بقلب ممتلئ) اتبعني!! اتبعني وكفي..

(يخرجان مسرعين. يسمع الرعد، بينما يتغير المنظر. موسيقي)

(**المشهد الثالث**: قرية جبلية موحشة تسمي«أبريناز، تبدو أشجار الصنوبر،

والصخور الضخمة. جسر خشبي كالح، يمتد علي ارتفاع صغير من صخرة إلي صخرة، تلوح قليلا طاحونة قبيحة في الخلفية، وبيت الطحان في اليمين، منحدر حاد بممر ضيق إلي الجسر، حجر أو مصطبة للجلوس عليها، في الجانب الأيمن.عاصفة برق متزايدة، رعد وبرد وأمطار تصبح مفزعة. موسيقي مناسبة. يدخل«رومالدي»من بين الصخور متنكرا في زى فلاح، ويبدو الرعب وكأنه يتعقبه من السماء والأرض)

رومالدي: إلي أين المفر؟ أين أحتمي من المطاردة والموت والعار؟ يبدو أن ساعتي قد أزفت؟، الشياطين التي أغوتني تمزقني الآن (رعد مخيف) السماء تطلق علي نارها، أنقذوني الرحمة! (يسقط علي المصطبة. تستمر الموسيقي، الزمهرير.. الخ، بعد لحظة يرفع رأسه. يسمع مزيد من قصف الرعود، ويسقط مرة ثانية علي وجهه. تخفت العاصفة تدريجيا. سكتة في الموسيقي.. يسمع صوت من بعيد «هولا!!»، تستمر الموسيقي. يرتفع بنصف جسده، يتحرك، ويركض من جانب إلي آخر، يتطلع حوله ويصغى، تتوقف الموسيقي، يتردد الصوت ثانية «هولا!!) إنهم يتعقبونني! أحدهم يشير إليّ! لا جحر ولا كهف يخفيني! (ينظر إلي الطريق الذي جاء منه) لا أستطيع، هذا مكان الدم! الأخ التعس السليب! هذا هو دمه الذي لطخت به!! آي!! هناك.. هناك قادتني خطاي إلي الملاذ! تحت هذه الصخور نفسها! أوه! يمكنها أن تفتح.. تبتلعني الأرض تبتلعني جرائمي! يبتلعني العار! (يسقط ثانية بلا حراك. موسيقي ندم مؤلم، ثم تتغير إلي رعوية مبتهجة..الخ. يظهر «ميشيلي» قادما نحو الجسر، الذي يعبره، متوقفا لينظر حوله ويتكلم، ثم يتكلم بينما يهبط الممر الضيق الكالح، ثم في مقدمة المسرح)

ميشيلي : (علي الجسر) يا لها من عاصفة مرعبة! تجعل قلب المرء نفسه ينكمش، والمسكين الفاني يفكر في آثامه والخطر الذي يحدق به.

رومالدي: (بعد أن يصغي) الخطر!! ماذا؟ هل هذا هو أنا؟؟ (يصغي)

ميشيلي : (يهبط) كل رعد يصفق، كأنه ثأر يومض في وجهه!!

رومالدي : إنني مشهور، أو ينبغي أن أكون! هل سأستسلم أو(يسدد مسدسه نحو «ميشيلي»، ثم يتراجع) مزيد من القتل!!

ميشيلي : (في مقدمة المسرح) في مثل هذه الأوقات المرعبة، الضمير الطاهر، أفضل كثيرا من ممالك من مناجم الذهب.

رومالدي: (في تردد بين قرار أن يقتل أو لا يقتل) كيف أتصرف؟؟

ميشيلي :(مدركا وجود «رومالدي»، الذي يخفي مسدسه) آه، صديق!.

فرانسيسكو: آه، الطحان!!

ميشيلي :(ملاحظا اهتياجه) إنك تبدو..

رومالدي : وكيف أبدو؟ (مذعورا، ومازال مترددا)

ميشيلي : ماذا لديك هناك؟

رومالدي: هنا؟

ميشيلي : تحت معطفك؟

رومالدي : (تاركا المسدس في جيبه الداخلي، ويعرض يديه) لا شيء..

ميشيلي : شيء ما معك!!

رومالدي: (حركة مفاجئة ليطلق النار، يكبح نفسه) أنا متعب.

ميشيلي : ادخل، واسترح

رومالدي : شكرا (يتحرك) شكرا جزيلا..!

ميشيلي : من أين جئت؟

رومالدي: من جوار «جينوا».

ميشيلي : (كما لو كان يستفهم) هل عبرت في «سالنشا»؟

رومالدي: (حذرا) «سالنشا»؟! ولم تسأل؟

ميشيلي : هل سمعت بما حدث؟

رومالدي: أين؟

ميشيلي : هناك، في «سالنشا»..! الكونت«رومالدي»..

رومالدي: ما له؟

ميشيلي : (متفحصا) هل تعرفه؟

رومالدي: أنا!!... أنا رجل مسكين.

ميشيلي : العدالة تتعقبه. لقد هرب، ولكن سيأخذونه. سيقع في قبضة الجلاد.

رومالدي : (يرتعد) آي؟؟

ميشيلي : متأكد، مثلما أنا متأكد من وجودك هنا

رومالدي: (جانبا) كل الرجال يكرهونني!، لم يجب أن أطلقه؟

ميشيلي : لقد أنقذتُ «فرانسيسكو» الطيب.

رومالدي: (يحدق فيه بصمود) أنت!، أكان أنت؟

ميشيلي : أنا..

رومالدي: إذن.. عش.

ميشيلي : أعيش؟

رومالدي: لتكافأ..

ميشيلي : وقد فعلت الأمر نفسه معك.

رومالدي: عش.. عش..!!

ميشيلي : سأعيش، يا صديقي، بقدر ما أستطيع، وحين أموت سأموت بقلب مطمئن.

رومالدي: تعس بائس!!

ميشيلي : من؟؟

رومالدي : ذلك الكونت «رومالدي».

ميشيلي : ولم لا؟ ما لم يكن شيطانا، فهو بائس في الحقيقة (موسيقي مارش سريع) سيقبضون عليه، لأن.. أنظر.. هنالك رماة السهام. (يعبران الجسر)

رومالدي :(يخشى أن يكون عرفه«ميشيلي») وأين «رومالدي»؟

ميشيلي : وكيف ليّ أن أعرف؟

رومالدي: (جانبا) هل يراوغني؟ الرماة هنا!! لقد ضعت!

(ينسحبان. موسيقي. الرماة يأتون في اتجاه «ميشيلي»)

ميشيلي : ليلتكم سعيدة أيها السادة الأجلاء

إكسمبت: ليلتك سعيدة أيها الطحان الأمين. إننا نبحث عن الكونت «رومالدي»، الذي يتعين أن نأخذه إما حيا أو ميتا. هل تعرف شخصيته؟

ميشيلي : كلا..

رومالدي : (جانبا، وبعيدا عن رؤية الرماة) شكرا أيتها السماء الرحيمة..

إكسمبت : (يقرأ) طوله خمسة أقدام (الأوصاف ينبغي أن تكون أوصاف صوت الممثل، مقاسه، وشخصيته، ويضاف إليها) وله ندبة واسعة علي ظهر يده اليمنى.

رومالدي : (غارسا يده في حضنه) ستتسبب في القبض عليّ!!

إكسمبت: كانت طعنة! التعس «مالفوجليو» شهد بأن «فرانسيسكو» الطيب، أخو الشرير «رومالدي»

ميشيلي : كيف!!

إكسمبت: وأنه سرق فرانسيسكو، وخانه، وشوهه، فتحمل المسكين كل أشكال البؤس، وعاش في فزع مستمر من الطعن أو التسمم، بدلا من الدفع بهذا الوحش إلي منصة الإعدام

ميشيلي : ولكنه سيأتي إليها أخيرا!

إكسمبت: قيل لنا، إنه بين هذه الجبال.

ميشيلي : أوه!! أيمكن أن أقبض عليه من قفاه!!!!

إكسمبت: قد تقابله.. خذ حذرك.. إنه مسلح.

ميشيلي : لا مرور له أو لك بهذا الوادي بعد العاصفة، السيول الجبلية تتساقط. يجب أن تعود

إكسمبت: شكرا جزيلا. لا ينبغي أن نضيع الوقت.

ميشيلي : تمنياتي بالتوفيق (يصعد الرماة التل ثانية. موسيقي مارش سريع، كالذي دخلوا عليه)

رومالدي: الموت!، والفضيحة!.. أليس هناك مهرب؟؟

ميشيلي : النهار يغرب، وأنت تبدو..

رومالدي: كيف؟

ميشيلي : أمم..أرجو أن تبدو في حالة أفضل..ادخل.. اقض المساء هنا..استرد عافيتك وروحك

رومالدي: (بانفعال شديد، ينسي، ويخرج يده من حضنه) أنت رجل جدير بالاحترام.

ميشيلي : أتمني لو أكون.. (شاعرا بيد «رومالدي»، بعد أن يصافحه) يا إلهي!! ما هذا؟

رومالدي: (مخفيا ارتباكه) ندبة..

ميشيلي : علي ظهر اليد اليمنى!!

رومالدي : أستحقها. أصابني بها فارس بسيفه.

ميشيلي : (بعد تفكير) أف!! هذا ممكن..

رومالدي : وهو كذلك.

ميشيلي : علي الأقل هذا ممكن.. والبريء..

رومالدي : حقا!.. قد يعاني من أجل المذنب.

ميشيلي : (بعدما يتطلع إليه) بدلا من ذلك سأقترف كل مخاطرة. أنا وحدي، عائلتي في السوق، ولا يمكنهم الرجوع إلي البيت الليلة، ولكنك غريب، وتحتاج الحماية..

رومالدي: (بامتنان عظيم) أحتاجها في الحقيقة!

ميشيلي : وستنالها. تعالي.. لن يغلق بابي أبدا دون تعيس بلا مأوي.

(يخرجان إلي البيت. موسيقي تعبر عن الكآبة.«فرانسيسكو» و«سلينا» يقتربان من الجسر، يشير إلي بيت الطحان. موسيقي مبتهجة.«سلينا» تشعر بالفرحة والإعجاب بالطحان. يهبطان المنحدر، بينما يرشدها ويعاونها بعناية.من المفترض أن الطحان سمع الضجة، ويأتي ليتحقق، يري «فرانسيسكو»، يركض أحدهما لذراعي الآخر)

ميشيلي : أهلا! ألف أهلا ومرحب..!!!!

سلينا : ألف شكر لمن أنقذ حياتي أبي.

ميشيلي : أبوك، أيتها السيدة الجميلة؟

سلينا : أوه! نعم.. اكتشفه بفضل عدوه الأبدي.

ميشيلي : الوحش «رومالدي»؟

سلينا : (بكآبة) وبكل أسف.

ميشيلي : لأجل خاطرك وخاطر أبيك، مرحبا بكليكما

رومالدي: (بنصف جسمه من الباب) سمعت اسمي!!

ميشيلي : (يقودهما إلي الباب، لحظة أن يتقدم «رومالدي»، خطوة) تعالوا..أضيِّف غريبا.

سلينا : (تري «رومالدي»، وترتعد) آآه! («فرانسيسكو» يتراجع وقد غطي عينيه في معاناة. ينسحب «رومالدي»)

ميشيلي : كيف حالك الآن؟

سلينا : إنه هو... هو!

(موسيقي تسرُّع وذعر..الخ. «فرانسيسكو» يضع يده علي فم «سلينا»، يأمرها بالصمت بلهفة شديدة. «ميشيلي» يأتي بإشارة طعن ظهر اليد اليمني، ويسأل «فرانسيسكو» إذا ما كان «رومالدي»، فيستدير «فرانسيسكو» دون إجابه، فيتأكد «ميشيلي» من اتهامه «رومالدي»، فيصعد بسرعة ليعبر الجسر، بحثا عن الرماة. فرانسيسكو يتوسل إليه أن يعود في يأس. يدخل «رومالدي» في ذعر من البيت شاهرا مسدسه. فرانسيسكو يفتح صدره إليه ليطلق النار، إذا أراد، وسلينا تسقط بينهما. يتم المشهد كله بأسلوب غامض وسريع. تتوقف الموسيقي فجأة)

رومالدي: لا، كثير جدا أن يكون دمك في عنقي! انتقم بعدالة.. خذ مسدسي!

(تستمر الموسيقي بينما «رومالدي» يعرض مسدسه الذي يأخذه «فرانسيسكو» ويرميه بعيدا، ويتوسل إليه أن يفر من الوادي. «روماردي» يأتي بإشارات تبين الاستحالة، ويركض باضطراب من جانب لآخر، وبعد أن يتوسل إليه «فرانسيسكو»، و«سلينا»، يصعد ليعبر الجسر. يلتقي عند حافة التل بأحد الرماة، فيتراجع ويتصارعان علي الجسر. يتمكن «رومالدي» من تجريد الرامي من سيفه، ويحاول الفرار مرة أخري، ولكنه يلتقي بعديد من الرماة. «رومالدي» يقرر التراجع عن المعركة. يبدو ستيفانو و«بونامو»، و«مونتانو»، و«فياميتا»، وفلاحون وقد تبعوا الرماة. «فرانسيسكو» مع «سلينا» في اهتياج بالغ، ويلقيان بنفسيهما عدة مرات بين المهاجمين و«رومالدي». وحين يهبط المقاتلون التل، تنزلق قدم «رومالدي»، ويوشك أن يسقط، «فرانسيسكو» يتدخل ليحرس جسده. وفي هذا الوقت، فإن كل الشخصيات الرئيسية تكون بالقرب من مقدمة المسرح. يظهر الرماة مستعدين لإطلاق النار، والطعن بسيوفهم، بينما تتجدد جهود وتوسلات«فرانسيسكو»، و«سلينا». يمتنع الرماة للحظة، و«فرانسيسكو» يحمي أخيه.تتوقف الموسيقي)

سلينا : أوه، كفوا عنه!! ليت فضائل أبي، تتشفع لأخطاء عمي.

بونامو : كلنا نسأل الرحمة، لأننا جميعا نحتاج إليها. من أجله وأجلنا جميعا يمكن أن تشمله الرحمة طواعية

(تهبط الستار علي موسيقي بطيئة وجدية. **النهاية**)